

دراسة تحليلية حول الثلاثة المخلفين من الأنصار

د. وليد محمد عبدالعزيز الحمد(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

(التوبة: ١١٨)

(*) أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية الأساسية - الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تعتمد الشريعة الإسلامية على رافدين أساسين هما عمدة التشريع، وهما كتاب الله، وسنة النبي ﷺ.

فالكتاب ملئ بنبأ من قبلنا وخبر من بعدنا، وحكم ما بين أيدينا، وهو القول الفصل وليس بالهزل، من حكم به عدل، ومن جعله أمامه ساقه إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار.

به صلاح الأمة، وتقدمها، وهدى الراعي والرعية، وبه من القيم، والمبادئ، والتعاليم، والأخلاق، والتشريعات، ما يجعله محط أنظار المسلمين ليلاً ونهارا وفيه قصص الأمم السابقة ومنها ما وقع مع رسوله ﷺ، ويعد كلامه ﷺ وأفعاله: السنة القولية، والسنة الفعلية مصدراً ثانياً للتشريع.

وما جرى في عهده من أحداث سجل بعضها القرآن الكريم تشريعاً، وإصلاحا، وتوجيها وتربية. لذا كان الوقوف عند هذه الآية الكريمة وهي الآية (١١٨) من سورة التوبة التى تحمل من الخير الكثير، والمعاني المفيدة، والعظات والعبر ما تكون درساً للمسلم في يومه وغده، وإصلاحاً لحاله بطاعة الله ورسوله ﷺ.

أهمية الدراسة:

١- ترجع أهمية الدراسة إلى أهمية موضوعها، والذي يدور حول آية من كتاب الله عز وجل، وما دار فيها من أحداث ومواقف كانت فرجاً بعد عقاب النفس وضيق الأرض بما رحبت على هؤلاء الثلاثة.

٢- هؤلاء النفر أخلصوا التوبة إلى الله عز وجل، لذا نجد أن الله سبحانه وتعالي

تقبل توبتهم، وكشف كربهم، وجعلهم عبرة لغيرهم، ولقن الأمة درساً في التعامل مع رسول الله ﷺ، وأن الجهاد هو السبيل الوحيد للنهوض بالأمة والخروج بها من الغفلة، والضياع، بل وضياع الأرض من تحت أقدامهم، والجهاد بالقول، واللسان مثل الجهاد بالطعن والسنان، هكذا تخلوا عن الجهاد، ومع رسول الله ﷺ وكان هذا عقابهم.

٣- إن الدراسة تبين أن الله سبحانه وتعالي يقبل توبة عبده العاصي، وأن الله سميع بصير بما يحدث للعباد فهم تحت رعايته وعنايته سبحانه وتعالي.

٤- تبين هذه الدراسة أن احترام النبي وتقديره وإجلاله هو من مبادئ الدين ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً** ﴾ (الأحزاب - ٣٦) وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا.

منهج الدراسة:

البحث في التفسير يخضع لمعرفة التفسير بالمأثور أو المنقول والتفسير بالرأي ابتداء فيما يلي:

التفسير بالمأثور أو المنقول:

فقد سلكت في هذه الدراسة مسلك التفسير بالمأثور وهو يشمل ما كان تفسيراً للقرآن الكريم بالقرآن، والقرآن بالسنة، والقرآن بالموقوف على الصحابة أو المروي عن التابعين، وهذا ما لا خلاف في قبوله، مادام لا يتطرق إليه الضعف، ولا يجد الشك إليه سبيلاً.

ومن الكتب التي احتفلت بهذا الفن التفسيري، تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير السيوطي "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، وتفسير ابن وهب، وغيرهم.

التفسير بالرأي:

أما التفسير بالرأي أي بالاجتهاد، وهو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.

والتفسير الفقهي كتفسير القرطبي، وابن العربي، والجصاص، والآية بينت مصير من خرج على أمر رسول الله ﷺ في الخروج للمعركة وما أصابهم من فرج.

– قمت بتعريف الأعلام الواردة في متن الدراسة مع ذكر بعض مصادر هذه الترجمة.

– قمت بتوثيق النصوص التي تقلتها من مظانها الحديثية والتفسيرية وغيرهما.

– صدرت الدراسة بمبررات الدراسة، ودواعي القيام بها.

مبررات الدراسة:

توضح هذه الآية معالم تربوية في بيان أحوال النفس البشرية التي لا تكاد تتخلف عن مساراتها في الحياة. فهي نفس تحتاج إلى تربية، وإرشاد، وتوجيه لا سيما وأنها تناولت من المبادئ التربوية ما يلي:

أ) الصراع بين الحق والباطل:

١– قيادة رسول الله ﷺ للجيش، وأن الزعيم يعطي الأوامر الإرشادية في تعبئة جنوده، وتسليحهم، وإعدادهم معنوياً. وهذه القيادة الرشيدة بقدر ما لها من سلطة دينية ودنيوية، لا تمنع أحاديث النفس الداعية إلى التقاعس والارتكان إلى هوى النفس والميل إلى الدعة، والقعود عن الخروج مع جيش رسول الله ﷺ.

٢– بينت الآية حال الكافرين الذين حاربوا الله ورسوله ﷺ وكان مصيرهم الهزيمة

والخذلان على أعقابهم.

٣- إن المؤمنين المجاهدين في سبيل الله ثابتون على الحق، وهذا يدفعهم إلى طلب العزة والحياة الكريمة، والرفعة من أجل إعلاء كلمة الحق والدين، ولو كان في سبيل ذلك التضحية بأغلى شيء وهو النفس البشرية.

وهذا يؤكد الصراع بين الحق والباطل في الحياة، والذي لا تخلو منه أي أمة، ولا أي عصر، وهو مستمر إلى قيام الساعة، ولا يعني ذلك الجبن عن مقاومة الباطل، ودحض قوته وجنوده.

ب) أقسام النفس البشرية:

١- أهل الإيمان واليقين، وأصحاب النفس المطمئنة، الذين سمعوا وأطاعوا أوامر رسول الله ﷺ وخرجوا معه لملاقاة أعداء الله، وقتالهم.

٢- المنافقون الذين في قلوبهم مرض، وهم أهل الدنيا، الذين انشغلوا بها، ورضوا بالركون إليها والتكاسل عن الخروج مع رسول الله ﷺ. وهم الذين جاءوا إلى رسول الله ﷺ، وقدموا الاعتذارات عن تخلفهم بالخروج معه ﷺ.

٣- أصحاب النفس اللوامة، وهم الذين أفردت لهم الآية مساحة كبيرة من الحديث عنه. فقد عاقبوا أنفسهم عن تخلفهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ، فقبل الله منهم التوبة النصوح، فغفر لهم وصفح رسول الله ﷺ عنهم.

تفسير الآية:

تناولت الإنسان في حال الحرب، وفي حال السلم، وهو صراع بين الحق والباطل، وهذه سنة الحياة بين الناس. وتناولت مكنونات النفس البشرية بما فيها من إيمان ونفاق، وكفر. فالنفس مطمئنة ولوامة. وإصلاح هذه النفس، تهذيبها وتربيتها، والارتقاء إلى مستوى الفطرة التي فطر الله الناس عليها من أبرز الأهداف التربوية

التي نحتاج إليها اليوم.

إنها تربية قرآنية للمجتمع المسلم الذي يشعر بالانتماء للوطن والولاء للدين، والصدق والإخلاص في العمل والحب للآخرين. وهكذا تنهض أمتنا من سباتها العميق، وغفلتها الضائعة. هذه المبادئ التربوية التي كشفت عنها هذه الآية دفعتني للوقوف عندها بالدراسة والتحقيق، واستخلاص العبر.

لقد أثمرت المقاطعة التي سلكها المسلمون مع هؤلاء الثلاثة بالنتائج التربوية المفيدة، والتي تعد رادعة وزاجرة للعصاة. وهو أسلوب فريد يمكن استخدامه في العصر الحديث عن طريق وسائل الإعلام لا سيما مع الذين يجاهرون بمحاربة الله ورسوله، ومقاطعة منتجاتهم.

فصول الدراسة:

بحول الله وقوته قمت بتقسيم الدراسة إلى ستة فصول هي:

الفصل الأول : وقسمته إلى موضوعين هما : القراءات القرآنية في الآية، وإعرابها.

الفصل الثاني : تفسير الآية الكريمة.

الفصل الثالث : ويتحدث عن توثيق أسماء الثلاثة الذين خلفوا، وهم كعب بن مالك، وكيف تلقى كعبا نبأ التوبة؟ ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، نبذة عن كل واحد منهم ﷺ .

الفصل الرابع : يدور حول ثلاثة جوانب هي:

– ما الذنب؟

– لماذا تاب الله عليهم، وقد تخلفوا؟

– متى تاب الله عليهم؟

الفصل الخامس: اشتمل على موضوعين:

– أسباب تخلفهم عن رسول الله ﷺ، والذي لأجله وصفوا بالمخلفين كما ورد في صحيح مسلم.

– فوائد هذا الحديث.

الفصل السادس: واشتمل على موضوعين:

– نص حديث كعب بن مالك، كما ورد في صحيح البخاري.

– فوائد هذا الحديث.

* * *

الفصل الأول

القراءات القرآنية

عرف الزركشي[1] القراءات بقوله: "القراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، وكيفيتها من تخفيفه وتشديده وغيرها"[2]. ويستخلص من قوله: أن القراءات تختص بالمختلف فيه من ألفاظ القرآن الكريم، بينما نجد علماء القراءات يوسعون في دائرة شمول القراءات إلى المتفق عليه أيضا، وذلك في تعريفهم لعلم

١ – الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي أحد علماء الأثبات، الذين نجموا بمصر في القرن الثامن الهجري، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ ألف البرهان في علوم القرآن وإعلام الساجد بأحكام المساجد وغيرهما. توفي سنة ٧٩٤هـ. حسن المحاضرة ١/ ١٨٥، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣/ ٣٩٧.

٢ – البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١٨.

القراءات، يقول ابن الجزري[١] مثلا : القراءات : "علم كيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لنقاله"[٢] . ويعرف الدمياطي[٣] البنا بقوله: "علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من السمع"[٤].

إن ابن الجزري والدمياطي اشترطا في القراءة النقل والسماع، ولعل ذلك لأن القراءة سنة متبعة كما يقول زيد بن ثابت الأنصاري الصحابي[٥] . وفي ذلك يقول ابن الجزري: "وليحذر القارئ الإقراء بما يحسف في رأيه دون النقل، أو وجه إعراب أو لغة، دون رواية[٦]" .

وفي تعريف الشيخ زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٥ هـ نقف على شرط آخر هو تطبيق المنقول أو المسموع على القرآن الكريم تلاوة أو أداء، يقول: "القراءة بالكسر وتخفيف الراء المهملة هي عند القراء: أن يقرأ القرآن سواء كانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متتابعاً، أو أداء بأن يأخذ من المشايخ ويقرأ"[٧].

وفي ضوء هذه التعريفات نخلص إلى أن القراءات: هي النطق بألفاظ القرآن كما

---

١ – الشيخ الإمام العلامة، إمام الحافظ، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي مؤلف غاية النهاية في طبقات القراء، توفي سنة ٨٣٣هـ.

٢ – منجد المقرئين ٣ .

٣ – الحافظ أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسن بن شرف الدين النوبي الدمياطي– ويعرف بابن الماجد – توفي يوم الأحد الخامس عشرة من ذي القعدة سنة ٧٠٥ هـ له المتجر الرابح. تذكرة الحفاظ ٤ /١٤٧٧، الدرر الكامنة ٢ /٤١٧ .

٤ – اتحاف فضلاء البشر ص ٥، صححه وعلق عليه علي بن محمد الضباع، القاهرة ١٣٤٥هـ.

٥ – زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري البخاري، أبو سعيد، وأبو خارجة، صحابي مشهور، كتب الوحي وكان من الراسخين في العلم. مات سنة ٤٥ هـ وقيل بعد الخمسين، التقريب (ص ٢٢٢) رقم (٢١٢٠).

٦ – الاتقان ١ / ٧٥ .

٧ – منجد المقرئين ٣ .

نطقها النبي ﷺ أو كما نطقت أمامه ﷺ فأقرها، سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي ﷺ أو تقريراً واحداً أو متعدداً.

ويعني التعريف - هنا - أن القراءة قد تأتي سماعاً لقراءة النبي ﷺ بفعله، أو نقلاً لقراءة قرئت أمامه ﷺ فأقرها. وإن القراءة قد تروى لفظاً واحداً، وهو ما يعبر عنه بالمتفق عليه بين القراء، وقد تروى أكثر من لفظ واحد، وهو ما يعبر عنه المختلف فيه بين القراء. من هنا يتضح أن في الآية القراءات الآتية:

١- قراءة الجمهور: "خُلِّفوا" بضم الخاء، وتشديد اللام المكسورة.

٢- "خَلَفوا" بفتح الخاء، واللام غير مشددة[١] وهي قراءة عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي[٢]، وزر بن حبيش[٣]، وعمر بن عبيد[٤]، وأبو عمر[٥]، ومعاذ القارئ[٦]، وحميد[٧].

---

١ - مصادر هذه القراءة: البحر المحيط ٥/ ١١٠، وتفسير القرطبي ٨/ ٢٨٢، والكشاف ٢/ ٢١٨، والمحتسب (١/ ٣٠٥).

٢ - عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغير بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان ثقة، الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٢٦)، ووثقة الحافظ ابن حجر في التقريب ص٣٩٦ رقم (٤٦٦٨). وقال في غاية النهاية (١/ ٥١٥) رقم (٢١٣٠): تابعي ثقة، جليل حجة، روي القراءة عرضاً عن أصحاب ابن عباس، ولا يبعد أن يكون عرض عليه، مات بعد عطاء منه خمس عشرة، قاله البخاري.

٣ - زر - بكسر أوله، وتشديد الراء - ابن جُبَيش - بمهلة وموحدة ومعجمة مصغر - ابن حُباشة - بضم المهملة بعدها موحدة، ثم معجمة - الأسدي، (الكوفي، أبو مريم، ثقة جليل، مخضرم، مات سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وسبع وعشرين، أخرج له الجماعة، التقريب ص٢١٥ رقم (٢٠٠٨)، تذكر الحافظ ١/ ٢٥٧ طبقات الحافظ ص١٩ رقم (٣٩)، وشذرات الذهب (١/ ٩١).

٤ - عمرو بن عبيد بن باب بموحدتين، التميمي مولاهم، أبو عثمان البصري، المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعته، اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً، من الطبقة السابعة، مات سنة ثلاث وأربعين أو قبلها. التقريب (ص٤٢٤) رقم (٥٠٧١).

٥ - أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العُريان المازني، النحوي، القارئ، اسمه: زَبان أو العريان أو يحي أو جزء - بفتح الجيم ثم زاي ثم همزة - والأول أشهر، ثقة، من علماء العربية، توفى سنة ١٨٤هـ بالبصرة، مشاهير علماء الأمصار (ص٢٤٢) رقم (١٢١٠) التقريب ص٦٦٠ رقم (٨٢٧١).

٦ - معاذ بن الحارث الأنصاري البخاري، القارئ، يقال: أبو حليمة، أحد من أقامة عمر يصلى التراويح، ويقال: هو آخر، يكنى أبا الحارث، صحابي صغير، استشهد بالحرة سنة ثلاث وستين، غاية النهاية (٢/ ٣٠١، ٣٠٢) رقم (٣٦٢١)، والتقريب (ص ٥٣٦) رقم (٦٧٢٧).

٧ - حميد بن قيس الأعجر، أبو صفوان، المكي القارئ، ثقة، توفى سنة ثلاثين ومائة، غاية النهاية (١/ ٢٦٥) رقم (١٢٠٠)، مشاهير علماء الأمصار ص٢٢٨ رقم (١١٣٨).

٣- "خلِفوا" منسبا للفاعل مخففاً، وهي قراءة معاذ بن القارئ[١]، وعكرمة[٢]، وحميد[٣] والمعني : الذين خلفوا، أي فسدوا، ويجوز أن يكون خلفوا الغازين في المدينة[٤].

٤- "المخَلْفين" بإسكان اللام[٥]. قرأها الأعمش[٦].

٥- "خُلِفُوا" قراءة أبو مالك[٧].

٦- "خالفوا" وهي قراءة : أبو زيد[٨]، وأبو مجلز[٩]، والشعبي[١٠]، وعلى بن

---

١ – تقدمت ترجمته.

٢ – عكرمة – مولي عبد الله بن عباس – أبو عبد الله المفسر، وردت الرواية عنه فى حروف القرآن، اعتمده البخاري، وأخرج له مسلم، مقرونا، مات سنة ١٠٥، وقيل ١٠٦، وقيل ١٠٧هـ غاية النهاية (١/٥١٥) رقم (٢١٣٢).

٣ – قراءة عكرمة وحميد ذكرهما الثعلبي فى الكشف والبيان (٣/٢٥٩).

٤ – الدر المصون (٣/٥١١).

٥ – توثيق القراءة : البحر المحيط (٥/١١٠)، ومفاتيح الغيب (١٦/٢٢٣) والالوسي ١١/٤١، والكشف والبيان (٣/٢٥٩).

٦ – سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي، الأعمش، ثقة، حافظ، عارف بالقراءات ورع، لكنه يدلس، من الطبقة الخامسة، ولد سنة ٦١هـ، ومات سنة ١٤٨هـ، التقريب (ص٢٥٤) رقم (٢٦١٥) ومشاهير علماء الأمصار ص١٧٩ رقم (٨٤٨).

٧ – توثيق القراءة : البحر المحيط (٥/١١٠)، سعد بن طارق، أبو مالك الأشجعي، الكوفي، ثقة، من الطبعة الرابعة مات فى حدود الأربعين، التقريب ص٢٣١ رقم (٢٢٤٠).

٨ – أبو زيد الأنصاري النحوي، ولد سنة ١٢٠هـ قال الحافظ أبو العلاء عنه : كان أبو زيد الأنصاري من جلة أصحاب أبي عمرو وكبرائهم، ومن أعيان أهل النحو واللغة والشعر ونبلائهم، مات سنة ٢١٥هـ بالبصرة، عن ٢٩٤هـ.

٩ – لاحق بن حُميد بن شيبة السدوسي، أبو مجلز، ثقة، من كبار الطبقة الثالثة، مات سنة ١١٦هـ التقريب (ص٥٨٦) رقم (٧٤٩٠)، مشاهير علماء الأمصار (ص١٤٧) رقم (٦٦١).

١٠ – عامر بن شراحيل الشعبي، بفتح المعجمة، أبو عمرو، ثقة، مشهور، فقيه، قال عنه مكحول : ما رأيت أفقه منه مات سنة ١١٠هـ التقريب ص٥٨٦ رقم (٧٤٩٠).

الحسن [1] وزيد بن علي[2]، وجعفر الصادق[3]، وأبو محمد الباقر[4]، وأبو عبد الرحمن السلمي[5].

٧- "وضاقت" بالإمالة، قراءة[6] حمزة[7].

٨- "الله هو" بالإدغام [الكبير][8].

الإعراب:

"و" الواو عاطفة، في قوله تعالى: ﴿........ وعلى الثلاثة...﴾ عطف على النبي[9]، بإعادة حرف الجر لبعد المعطوف عليه[10]. وَ"عَلَى" حرف جار. "الثَّلاثَةِ" اسم مجرور بعلى، وعلامة جره الكسرة. والجار والمجرور "عَلَى الثَّلاثَةِ"

١ – على بن الحسين بن على بن أبي طالب الأمام زين العابدين، أبو الحسن، من فقهاء أهل البيت، وأفاضل بني هاشم وعباد المدينة، مات سنة ٩٢هـ، وله ٥٨ سنة، مشاهير علماء الأمصار (ص١٠٤) رقم (٤٢٣)، طبقات الحفاظ ٣٠، وغاية النهاية (١/٥٣٤) رقم (٢٢٠٦).

٢- زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، أبو الحسين المدعي، ثقة، من الطبقة الرابعة، وهو الذى ينسب إليه الزيدية، وكانت الشيعة تنتحله، وكان من أفاضل أهل البيت وعبادهم، قتل بالكوفة سنة ١٢٢هـ مشاهير علماء الأمصار ص١٠٤ رقم (٤٢٥)، شذرات الذهب ١/١٥٨، ١٥٩ .

٣- جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، المعروف بالصادق، صدوق، فقيه، إمام، ولد سنة ٨٠هـ، ومات سنة ١٤٨هـ وهو ابن ثمان وستين سنة، مشاهير علماء الأمصار ص٢٠٥ رقم (٩٩٧)، التقريب (ص١٤١) رقم (٩٥٠).

٤ – محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، لم أبو جعفر الباقر، ثقة، فاضل، والإمام جعفر الباقر، كان من أفاضل أهل البيت وقرائهم، مات سنة أربع عشرة ومائة، وله ثلاث وستون سنة، مشاهير علماء الأمصار ص١٠٣ رقم (٤٢٠).

٥ – عبد الله بن جيب بن ربيعة – بفتح الموحدة، وتشديد الياء – أبو عبد الرحمن السُّلمي، الكوفي، المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة، ثبت من الطبقة الثانية، مات بعد السبعين، التقريب ص٢٩٩ رقم (٣٢٧١)، مشاهير علماء الأمصار (ص١٠٣) رقم (٤٢٠).

٦ – مصادر القراءة: اتحاف فضلاء البشر ٢٤٥، وغيث النفع ٢٣٩، والنشر فى القراءات العشر ٢/٥٩ .

٧- حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الفرضي التميمي، مولي لهم، ويكنى أبا عمارة، وتوفي بحلوان فى خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ التيسير فى القراءات السبع (ص١٩).

٨- غيث النفع، للصفاقسي ص ٢٤٠، معجم القراءات القرآنية (٢/٣٢٧).

٩- جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي (٢/١٠٨)، التبيان في إعراب القرآن (٢/٦٦٣٢).

١٠- محاسن التأويل (٩/٣٢٨٧).

متعلق بالفعل "تَابَ" في الآية. التعريف في الثلاثة للعهد فإنهم كانوا معروفين للناس[١]. "الَّذِينَ" اسم موصول، مبني في محل جر نعت للثلاثة.

"خُلِّفُوا" فعل ماض، مبني للمجهول، مبني على الضم، والواو "واو الجماعة" نائب الفاعل، وجملة: "خُلِّفُوا.." لا محل لها من الإعراب، صلة الموصول "الَّذِينَ". "حَتَّى" غاية، حرف ابتداء. "إِذَا" ظرف للزمن المستقبل متضمن معنى الشرط، مبني في محل نصب، متعلق بمضمون الجواب، وقال القاسمي: يجوز كونها شرطية جوابها مقدر، وأن تكون ظرفية غاية لما قبلها[٢].

"ضَاقَتْ" فعل ماض مبني على الفتح، والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي. "عَلَيْهِمُ" على: حرف جر، و"هم" ضمير مبني على السكون في محل جر، والجار والمجرور "هِمُ" متعلق بالفعل ضاقت، وقيل: متعلق بالفعل "خُلِّفُوا". "الأَرْضُ" فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. "بِمَا" الباء حرف جر، وهي تفيد المصاحبة، و"مَا" حرف مصدري[٣]. "رَحُبت" رَحُبَ: فعل ماض مبني على الفتح، والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، وجملة: "رَحُبت" لا محل لها من الإعراب صلة الموصول الحرفي "مَا".

والمصدر المؤول: "مَا رَحُبت" في محل الجر بالباء والجار والمجرور حال من الأرض، أي ضاقت حال كونها رحبة.... أي مع رحبها.. وجملة الشرط، وفعله وجوابه المقدر لا محل لها من الإعراب استئنافية.

"و" عاطفة. "ضَاقَتْ" ضَاقَ: فعل ماض، مبني على الفتح، والتاء للتأنيث. "عَلَيْهِمْ" عَلَيْ: حرف جر، "هِمْ" ضمير متصل مبني في محل جر اسم مجرور، والجار والمجرور "عَلَيْهِمْ" متعلق بالفعل "ضاقت". "أَنفُسُهُمْ" أنفُسُ: فاعل مرفوع،

١– التحرير والتنوير (١٠ / ٥١).

٢– غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٩٨)، المحرر الوجيز (٣/ ٩٤).

٣– غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٦٨)، المحرر الوجيز (٣/ ٩٤).

وعلامة رفعه الضمة، "وهُمْ" ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه، وجملة: "ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أنفُسُهُمْ" في محل جر معطوفة على جملة "ضَاقَتْ" الأولى.

"وَظَنُّوا" الواو عاطفة، "ظَنُّوا" فعل ماض، مبني على الضم، والواو واو الجماعة فاعل. وجملة: "ظَنُّوا.." في محل جرٍّ معطوفة على جملة "ضَاقَتْ". "أَن" مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، وهي سادت مسد المفعولين(١). "لاَّ" نافية للجنس. "مَلْجَأَ" في محل رفع خبر أن المخففة، وقال أبو البقاء العكيري: خبر "لا"(٢). والمصدر المؤول: "أن لاَّ مَلْجَأَ.." في محل نصب "سد مسد" مفعولي ظنوا.

"مِنَ اللَّهِ" من: حرف جر، ولفظ الجلالة اسم مجرور، وعلامة الجر الكسرة، والجار والمجرور "مِنَ اللَّهِ" متعلق بملجأ، بحذف مضاف أي من عذاب الله(٣)، أو من سخط الله. "إِلاَّ" أداة استثناء(٤). "إِلَيْهِ" إلى حرف جر، والهاء: ضمير في محل جر بدر، والجار والمجرور بدل من مستثنى منه مقدَّر.

الإشكال في جواب "إِذَا" وعطف "ثم تاب عليهم":

أجاب العلماء عن ذلك بجوابين:

أولهما: أن تكون "إِذَا" زائدة، فلا تحتاج إلى جواب، ويستقيم المعنى.

والثاني: أن تكون "ثُمَّ" زائدة، فتكون الجملة "تاب عليهم" هي الجواب، ولا يمكن حل الإشكال إلا بافتراض زيادة إحداهما. جواب "إِذَا" مقدر يعطف عليه قوله: "تَابَ عَلَيْهِمْ" أي إذا ضاقت عليهم.. لجؤوا إليه، أو تابوا، ثم تاب الله. وقد

١- الدر المصون (٣/ ٥١١).

٢- التبيان فى إعراب القرآن (٢/ ٦٦٣).

٣- لكن السمين الحلبي أعرب الجار والمجرور (من الله) خبر أن. الدر المصون (٣/ ٥١١).

٤- التبيان فى إعراب القرآن (٢/ ٦٦٣).

يكون "إِذَا" مجرداً من الشرط، فلا يحتاج إلى جواب. **والمعنى**: تاب على الذين خلفوا إلى هذا الوقت[١].

"ثُمَّ" حرف عطف للتراخي. "تَابَ" فعل ماض مبني على الفتح. "عَلَيْهِمْ" على حرف جر، و "هِمْ" ضمير متصل مبني: في محل جر اسم مجرور، والجار والمجرور "عَلَيْهِمْ" متعلق بالفعل "تَابَ". وجملة: "تَابَ عَلَيْهِمْ" لا محل لها من الإعراب، معطوفة على جواب الشرط المقدر، أي لجؤوا ثم تاب الله.

"لِيَتُوبُوا" اللام للتعليل، فائدة التكرار التنبيه على أنه تاب عليهم لما كابدوه في ساعة العسرة. و"يَتُوبُوا" فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة النصب حذف النون، واو الجماعة فاعل. وجملة "يَتُوبُوا" لا محل لها من الإعراب صلة الموصول الحرفي أن. والمصدر المؤول: "أن لِيَتُوبُوا.." في محل جر باللام، متعلق بالفعل "تَابَ". "إِنَّ" حرف مشتبه بالفعل للتوكيد. "اللَّهَ" لفظ الجلالة اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

"هُوَ" ضمير منفصل، أو "هُوَ" ضمير فصل مبني في محل رفع مبتدأ، خبره "التَّوَّابُ". والجملة الاسمية: "هُوَ التَّوَّابُ" في محل رفع خبر إن مرفوع. وجملة: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" لا محل لها من الإعراب. "الرَّحِيمُ" صفة للتواب مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

---

١ – نفس المصدر السابق.

الفصل الثاني

تفسير الآية ١١٨ من سورة التوبة

قال تعالى: "وَعَلَى الثَّلاثَةِ"

هؤلاء الثلاثة فريق لهم حالة خاصة من بين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك غير الذين ذكروا في قوله: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾[١]، والذين ذكروا في قوله: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ ﴾[٢] إنهم الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر فنهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامهم، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، ثم عفا الله عنهم بعد خمسين ليلة[٣].

والآية تنص بـ ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ ﴾ أي ولقد تاب الله على[٤] ﴿ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ قال قتادة عن التوبة[٥] : إنهم تركوا وأخروا عن قبول التوبة في الحال، كما قبلت توبة أولئك المخلفين المتقدم ذكرهم"[٦].

وذهب الماوردي في "النكت والعيون"[٧]: إلى أن في الآية وجهين هما: أحدهما: خلفوا عن التوبة، وأخرت عليهم، حيث تاب عليهم، أي على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة. قاله الضحاك وأبو مالك. والوجه الثاني: خلفوا عن بعث رسول الله ﷺ قاله عكرمة. نعم : إنهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ في الذهاب، ولم يحسم مصيرهم، ولم يقرر موقفهم أمام المسلمين – إنه عليه

١– سورة : التوبة، آية (٨١).
٢– سورة: التوبة، آية: (٩٠).
٣– التحرير والتنوير (١٠ / ٥١).
٤– نظم الدرر (٩ / ٣٨).
٥– تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦ / ١٩٠٤) رقم (١٠٠٧٨).
٦– محاسن التأويل (٩ / ٣٢٨٧).
٧– النكت والعيون (٢ / ٤١٣).

الصلاة والسلام اتخذ موقف الحيطة والحذر منتظراً من الله عز وجل أن يُبت له في مصير هؤلاء[١].

حقيقة ثمَّ اتخاذ القرار في الأعداد الغفيرة " تجاوز الله عن الثلاثة الذين خلفوا أي خلف توبتهم وهم كعب بن مالك وصاحبيه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع"[٢]. أفردت هذه الآية هؤلاء الثلاثة بالذكر لصدقهم وإخلاصهم وإطلاع الله على سرائرهم الحسنة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾:

الخالف: المتأخر لنقصان أو قصور كالمتخلف[٣]..، إنهم أخروا، ولم تقبل توبتهم في الحال[٤]. باتت معذرتهم مردودة عليهم وترك أمرهم.. لأنهم خلفوا عن المعتذرين[٥] إن ما ذهب إليه قتادة بن دعامة السدوسي - رحمه الله - هو بأنهم: خلفوا عن تبوك لكن ابن عطية ضعف هذا القول، معتمداً فيما ذهب إليه على قول كعب بن مالك نفسه إذ قال: "خلفوا: تركوا عن قبول العذر، وليس بتخلفهم عن الغزو[٦]، السياق لا يستقيم ونتيجة لتلك الإرادة المنفردة بالتخلف عاقبوا أنفسهم.

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ﴾:

الضيق: ضد السعة[٧]، واستعير الضيق لضده[٨]. و﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ﴾،

١- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (٢/١١٣).
٢- تفسير ابن وهب (١/٣٣١).
٣- المفردات (ص ١٥٧).
٤- فتح البيان في مقاصد القرآن: الموضع السابق.
٥- المحرر الوجيز (٣/٤٥)،البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/١٢٧).
٦- المحرر الوجيز (٣/٥٤).
٧- المفردات ص(٣٠).
٨- المفردات (ص ١٩١).

ذلك التشبيه كناية عن غمهم، وتنكر المسلمين لهم. فالمعنى أنهم تخيلوا الأرض في أعينهم كالضيقة[١]. وذلك يمثل الإشارة إلى عظيم الأمر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عَلَيْهِمُ الأَرْضُ﴾ أي كلها[٢] والضيق على التحقيق بالشدة، وعلى أن تركوا شهواتهم وأمانيهم، وما يتلذذون به، ذلك ضيق الأرض[٣]. هذا هو الإحساس النفسي الذي شعر به المحاصر، لقد أصبح يرى الدنيا كخاتم لإصبع أو كثقب الإبرة أمام ناظريه.

قال تعالى: ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾:

أي مع شدة اتساعها[٤]، أي ضاق عليهم فسيحها وواسعها[٥]. إنها الأرض الموصوفة بسعتها المعروفة[٦]. كأنهم لشدة حيرتهم، وفرط قلقهم لا يجدون ملجأ يلجأون إليه[٧] فهم مهجرون بالكلية في المعاملة والمجالسة والمكالمة[٨]، فبات عليهم أنهم لا يجدون في الأرض مكانا يفرون فيه، قلقاً وجزعاً مما هم فيه، إذ لم يمكنهم الذهاب لأحد لمنع النبي ﷺ من مجالستهم ومحادثتهم"[٩]، إن من مهام المجتمع الإسلامي الإيمانية أن يشعر المذنب بالتقصير، وينبهه إلى خطورة خطئه حتى يقلع عن الذنب ولو أدى ذلك إلى الشعور بالضيق.

١- التحرير والتنوير (١٠/٥٣).
٢- نظم الدرر (٩/٣٨ : ٣٩).
٣- تأويلات أهل السنة (٥/٥٠٠).
٤- تفسير ابن وهب (١/٣٣١).
٥- نظم الدرر (٩/٣٨، ٣٩).
٦- التحرير والتنوير (١٠/٥٣).
٧- الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥/١٦٩، ١٧٠).
٨- جامع البيان في تفسير القرآن للايجي (٢/١٠٨، ١٠٩).
٩- محاسن التأويل (٩/٣٠٨٧).

قال تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ :

كيف تحقق الضيق؟ فيه أقوال هي :

١– ضاقت عليه غماً وهماً، قاله الخازن[١] .

٢– وقيل : إنها استعارة لأن الهم والغم ملأها قاله ابن عطية[٢] .

٣– وقيل : بتأخر التوبة، وضيق القلوب بالغم بحيث لا يسعها أنس، ولا سرور من فرط الوحشة والغم، قاله ابن وهب[٣] .

٤– إنهم لازموا بيوتهم، وهجروا نحواً من خمسين ليلة، وفيه ترق من ضيق الأرض إلى ضيقهم في أنفسهم. وهو في غاية البلاغة[٤] .

٥– لذلك يقال للمحزون : ضاق صدره، وللمسرور شرح صدره[٥] .

٦– وذهب الماتريدي إلى القول بأن الضيق جاء على التمثيل، وذلك أن الخوف اشتد بالإنسان، وبلغ غايته حتى يمنعه عن القرار في الأرض والتلذذ فيها. لما ذكر كان الناس لا يكلمونهم، ولا يخالطونهم، ولا يبايعونهم، ولا يكلمهم أهليهم"[٦] .

"إن ضيق الأرض وضيق النفس" يعني ثقل ما كانوا يعانونه من ندم وألم، ولهذا كانت توبتهم نصوحاً، صادقة لا تنتكس بهم على أعقابهم أبداً"[٧] .

والحقيقة التي لا مراء فيها هي أنهم كانوا "يخافون أن يموتوا فلا يُصلِّ النبي

١– معالم التنزيل (٢٨٢٨٤).

٢– المحرر الوجيز (٣ / ٩٤).

٣– تفسير ابن وهب (١ / ٣٣١).

٤– الجواهر في تفسير القرآن (٥ / ١٦٩، ١٧٠).

٥– التحرير والتنوير (١٠ / ٥٣).

٦– تأويل أهل السنة (٥ / ٥٠٥).

٧– التفسير القرآني للقرآن (٢١ / ٩١).

ﷺ ولا المؤمنون على جنازتهم"[١]. إن من علامات صدق التوبة هو شعور المذنب بضيق في النفس، وهو أسلوب تربوي يفيد المجتمع المسلم في السمو به.

قال تعالى: ﴿ وَظَنُّوا ﴾:

للعلماء في تفسير الظن هنا ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الظن بمعنى العلم.

قال القاسمي: بمعنى علموا[٢]، وقال الشيخ طنطاوي جوهري: "ظنوا" علموا[٣]، وقال السمين الحلبي: الظن هنا بمعنى العلم[٤]، وكذلك قال أبو حيان[٥].

القول الثاني: أن الظن بمعنى اليقين.

قال الخازن: "ظنوا" تيقنوا[٦]، وقال الماوردي: أي تيقنوا أن لا ملجأ لهم يلجئون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه[٧]، وقال الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور: الظن مستعمل في اليقين والجزم، وهو من معانيه الحقيقية، أي أيقنوا أن أمر التوبة عليهم موكول على الله دون غيره بما يوحي به إلى رسوله أي التجأوا إلى الله دون غيره، وهذا كناية عن أنهم تابوا إلى الله، وانتظروا عفوه[٨].

١- تنوير الأذهان (٢/ ١١٣).
٢- محاسن التأويل (٨/ ٣٢٨٨).
٣- الجواهر (٥/١٦٩، ١٧٠).
٤- الدر المصون (٣/ ٥١١).
٥- معالم التنزيل (٢/ ٢٨٤).
٦- النهر الماد من البحر المحيط (١/ ٢٣٠).
٧- النكت والعيون (٢/ ٤١٣).
٨- التحرير والتنوير (١٠/ ٥٣).

القول الثالث: وهو أن الظن على بابه.

وهذا يعني ترجيح أحد الجائزين لأنه وقف أمرهم على الوحي، "ولم يكونوا" قاطعين بأنه ينزل في شأنهم قرآن، أو كانوا قاطعين لكنهم يجوزون تطويل المدة في بقائهم في الشدة، فالظن عاد إلى تجويز تلك المدة القصيرة[١].

قوله تعالى: ﴿أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾:

قال ابن عجيبة: أي من سخطه[٢]. وقال الخازن: لا مفزع من الله[٣]. يقال: لجأت إلى فلان وعنه. والتجأت، وتلجأت إذا استندت إليه واعتضدت[٤]. إن الله سبحانه وتعالى هو القوي المتين ملجأ كل حيران، وحصن كل مكروب، مؤمن المفزع، ومغيث الملهوف سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿إِلاَّ إِلَيْهِ﴾:

أي استغفاره[٥] والرجوع إليه[٦].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾:

قال ابن عباس: فبدأ التوبة من الله ليتوبوا[٧]. إنها عطف على "ضاقت عليهم الأرض"، وما بعده، أي حتى وقع ذلك كله، ثم تاب عليهم بعده[٨]. "ثم" هنا للمهملة والتراخي الزمني، وليست للتراخي الرتبي، لأن ما بعدها ليس أرفع درجة

١- تفسير النهر الماد من البحر المحيط (١/ ٣٢٠).
٢- المرجع السابق (٣/ ١٢٧).
٣- معالم التنزيل (٢/ ٢٨٤).
٤- لسان العرب (٣٩٩٧).
٥- محاسن التاويل (٨/ ٣٢٨٨).
٦- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. (٣/ ١٢٧).
٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٥) رقم (١٠٠٩٢).
٨- التحرير والتنوير (١٠/ ٥٣).

مما قبلها بقرينة السياق، وهو مغن عن جواب "إذا" لأنه يفيد معناه[1].

ولو جاءت التوبة عليهم قبل أن يدخلوا هذه التجربة، ويعيشوا فيها تلك الأيام والليالي لما وجدوا أنفسهم على تلك الحال التي استقبلوها بها بعد هذا الزمن المتراخي، وبعد تلك التجربة القاسية التي كشفت عن هذا المعدن النفيس لتلك النفوس الكريمة، ولولا ذلك لحطمتها المحنة وأكلتها نار التجربة[2].

الخلاصة : أن الله تاب عليهم بالتوفيق بالتوبة[3].

قال تعالى : ﴿لِيَتُوبُوا﴾ :

قبل الله توبتهم ليتوبوا في المستقبل إذا صدرت منهم هفوة ولا يقنطوا[4]. وكانت توبتهم بإظهارها والدوام عليها، وليعدوا من التوابين[5]. كانت توبتهم على تخلفهم[6]. إنهم في توبتهم يستقيمون على التوبة فإن توبتهم قد سبقت[7]، واللام في قوله تعالى : ﴿لِيَتُوبُوا﴾ هي لام التعليل، أي تاب عليهم أي لأجل أن يكفوا عن المخالفة ويتنزهوا عن الذنب[8]. فالفعل مستعمل في معنى الدوام على التلبس بالمصدر لا إحداث المصدر، وليس المراد ليذنبوا إذ لا تناسب مقام التنويه بتوبته عليهم[9]. من هنا قال ابن عباس ـ رحمه الله ـ : "لِيَتُوبُوا" ليستقيموا، لأنه قد تقدمت توبتهم، وإنما امتحنهم بذلك استصلاحا لهم ولغيرهم[10]. وقال ابن عطية : ولما كان هذا القول في تعديد النعمة بدأ في

١- االتحرير والتنوير (١٠ / ٥٣).
٢- التفسير القرآني للقرآن (٢١ / ٩١٣).
٣- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣ / ١٢٧).
٤- محاسن التأويل (٨ / ٣١٨٨).
٥- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣ / ١٢٧).
٦- تفسير ابن وهب (١ / ٣٣١).
٧- معالم التنزيل (٢ / ٢٨٤).
٨- التحرير والتنوير (١٠ / ٥٣).
٩- التحرير والتنوير (١٠ / ٥٣).
١٠- النكت والعيون (٢ / ٤١٣).

ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل، ليكون ذلك منبهاً على تلقي النعمة من عنده لا ريب غيره، ولو كان القول في تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب[١].

قال تعالي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ :

هذه الجملة هي تذييل مفيد للامتنان[٢]. قال ابن عباس : "إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"، يعني إن استقاموا، وروي عن الضحاك مثل ذلك[٣]. وقال ابن وهب : "التَّوَّابُ" المتجاوز، و"الرَّحِيمُ" لمن مات على التوبة[٤]، قال الجنيد : التوبة على ثلاثة معان : أولها : الندم، وثانيها : العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله عنه، وثالثها : السعي في أداء المظالم[٥]. وقال ذو النون المصري : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار، ثم تضيق عليك نفسك، كما أخبر الله تعالي في كتابه[٦] : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٧].

* * *

١– المحرر الوجيز (٣/٩٤).
٢– التحرير والتنوير (١٠/٥٣).
٣– تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/١٩٠٥) رقم (١٠٠٩٢).
٤– تفسير ابن وهب (١/٣٣١).
٥– الرسالة القشيرية ص٧١، باب : التوبة.
٦– الرسالة القشيرية ص٧٣، باب : التوبة.
٧– سورة : التوبة، آية (١١٨).

الفصل الثالث
شخصيات القصة

توثيق أسماء الثلاثة الذين خلفوا :

أشار القرآن الكريم إلى هؤلاء الثلاثة الذين خلفوا خاصة لأن توبتهم كانت صادقة، ولأنهم اعترفوا بتقصيرهم. عن جابر بن عبد الله في قوله[1] : "﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا** ﴾ (التوبة – ١١٨) قال : كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكلهم من الأنصار"[2].

وقال مجاهد[3] : كلهم من الأنصار... ثم ذكرهم.

وفي رواية أخرى عنه قال : الذين أرجئوا في وسط براءة، وفي أخرى : في أوسط براءة.

قوله : ﴿ **وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ** ﴾[4] وفي بعض الروايات : مرارة بن الربيع[5]. يتضح من ذلك أن النص القرآني يبين بأن عددهم ثلاثة وتحديد

١- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام – بمهملة وراء – الانصاري، ثم السُّلمي، صحابي ابن صحابي. غزا تسع عشر غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين، أخرج له الجماعة التقريب (ص١٣٦). رقم (٨٧١).

٢- من الطريف أن أوائل أسماء الثلاثة مضبوطة بلفظ (مكة) "مرارة – كعب – هلال". وآخرها بلفظ : عكة "مرارة بن الربيع – كعب بن مالك – هلال بن أمية" الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥/١٦٩).

٣- مجاهد بن جبر – بفتح الجيم وسكون الموحدة – أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام في التفسير والعلم، من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون. أخرج له الجماعة – التقريب ص٥٢٠ رقم (٦٤٨١).

٤- سورة التوبة، آية ١٠٦ .

٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/٤٥٦)، وابن عسكر في تاريخ دمشق (٢١/١٩٧ مختصر) من طريق ابن عباس. والقاسمي في محاسن التأويل (٩/٣٢٨٧) وعزاه السيوطي لابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مندة، وابن مردوية، وابن عساكر، الدر المنثور (٤/٣٠٩).

أسمائهم من الصحابي والتابعي يصل بنا إلى درجة اليقين أنهم هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية.

كعب بن مالك:

كعب بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب: عمرو بن القين بن كعب بن سواد وبن غنم بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن جشم بن الخزرج[١].

كنيته: أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو بشير.

اللقب: الأنصاري الخزرجي، السلمي.

أمه: ليلي بنت زيد بن ثعلبة، من بني أسد قال ابن عبد البر عنه: شهد العقبة، وأحداً، والمشاهد كلها حاشا تبوك.

شعره: كان أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الأذى عنه، وكان مجوداً مطبوعاً، قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر، وعرف به.

قال محمد بن سيرين: كان شعراء المسلمين: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكان كعب يخوفهم الحرب، ويعبد الله ويعيرهم بالكفر، وكان حسان يقبل على الأنساب. إن كعبا يعد من رواد الشعر المخضرمين الذين كانوا على درجة عالية من الجودة والاتقان.

كيف تلقى كعب بن مالك نبأ قبول توبته ؟!

قال محمد بن شهاب الزهري لما سئل عن أمر كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله[٢] بن كعب أخبره أن عبد الله

١– جمهرة نسب قريش ٣٥٩، ٣٦٠، الاستيعاب ٣/ ١٣٢٤ رقم ٢٢٠٥ .

٢– عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري، أبو الخطاب مدني، ثقة عالم، من الطبقة الثالثة، مات فى خلافة هشام. التقريب ص٣٤٤ رقم (٣٩٢٣).

ابن كعب[١] - وكان قائد كعب - قال: سمعت كعب بن مالك قال: بينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله فينا، قد ضاقت على نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صارخاً أوفى على جبل بأعلى سلع[٢] بأعلى صوته يا كعب بن مالك، أبشر، فخررت ساجداً[٣].

وفاته :

توفي كعب بن مالك رضى الله عنه - في زمن معاوية سنة خمسين، وقيل: سنة ثلاثة وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين، كان قد عمي، وذهب بصره في آخر عمره.

مرارة بن الربيع[٤]:

ذكر اسمه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ / ١٢٥) عند ذكر غزوة رسول الله ﷺ تبوك. ضمن الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في الذهاب إلى المعركة مع رسول الله ﷺ، وورد ذكر اسمه في حديث كعب بن مالك الذي أخرجته كتب السُّنة النبوية المطهرة.

هلال بن أمية بن عامر :

هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم ابن عامر بن كعب بن واقف[٥].

١- عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري المدني، يقال له رؤية، ما سنة ٩٧هـ أو ٩٨هـ التقريب ص ٣١٩، رقم (٣٥٥٢).

٢- سَلْع : بالفتح، ثم السكون. قيل جبل بسوق المدينة، وقيل موضع بقرب المدينة، والمشهور أنه الجبل الذى على باب المدينة، مراصد الإطلاع (٢ /٧٢٧).

٣- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦ /١٩٠٥) رقم (١٠٠٩٠).

٤ - مصادر ترجمته : الاستيعاب (٣ /١٣٨٢)، وأسد الغابة ٥ /١٣٤، والإصابة (٦ /٥٦، ٦٦)، تفسير مبهمات القرآن (١ /٥٦٨).

٥- مصادر ترجمته : الاستيعاب (٤ /١٥٤٢) رقم (٢٦٨٩)، والإصابة (٦ /٢٨٩) رقم (٨٩٧٩)، الثقات ١ /٤٥٣، أسد الغابة ٥ /٤٠٦، ٤٠٧، تجريد أسماء الصحابة ٢ /١٢١، التاريخ الكبير ٨ /٢٠٧، الجرح والتعديل ٢ /٧٢ .

اللقب : الأنصاري، الواقفي.

شهد غزوة بدر الكبرى، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فنزل فيهم القرآن[١]، وهو الذى قذف امرأته بشريك بن سمحاء[٢]، فنزلت فيهم آية اللعان[٣].

* * *

الفصل الرابع
كيفية توبتهم

متى تاب الله عليهم؟

في حديث كعب الذى أخرجه البخاري وغيره بأن التوبة كانت بعد خمسين ليلة[٤].

وقال ابن جماعة[٥] : تيب عليهم بعد خمسين ليلة مضت مقدم تبوك[٦]، وقال البلنسي[٧] : "أقاموا خمسين يوما لا يكلمهم أحد ولا زوجاتهم"[٨] وقال

١– سورة التوبة ؛أية : (١١٨).
٢– شريك بن سحماء – بفتح السين والحاء الهمليتن – وهى أمه، واسم أبيه عبده بن مغيث بن الجد بن العجلان البلوى، حليف الأنصارى. قيل أنه شهد أحدا مع أبيه . الإصابة (٣/٢٠٦) رقم (٣٨٩٣).
٣– الحديث : صحيح أخرجه البخاري (صـ٨٧٤) ٦٥ – كتاب : التفسير – سورة النور ٣– باب : ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين (٤٧٤٧) انظر : قصة الملاعنة : زاد المسير ٦، ١٢، ١٣، تفسير ابن كثير ٦/١٣–١٥ .
٤– أخرجه البخاري (ص٧٩٥) ٦٤– كتاب : التفسير ٨١ – باب : حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ (٤٤١٨).
٥– قاضي القضاة : شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة الكتاني الحموي الشافعي، ت ٧٣٣هـ.
٦– غرر التبيان فى من لم يسم فى القرآن ص٢٧٧ .
٧– أبو عبد الله، البلنسي، الأندلس المالكي ولد سنة ٦٠١هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٨٤هـ هدية العارفين (٦/١٣٤).
٨– تفسير مبهمات القرآن المرسوم بصلة الجمع وعائد التذييل الموصول كتابي الإعلام والتكميل (١/٥٦٧).

محمد نسيب الرفاعي : "هجر المسلمون إياهم نحواً من خمسين ليلة أيامها"(١).

وقال الشيخ طنطاوي : "كان النبي ﷺ منع أصحابه أن يكلموا هؤلاء الثلاثة، ولبثوا خمسين ليلة"(٢).

يتضح مما سبق أن الاختلاف ليس في العدد بل في المعدود هل هم خمسون يوماً أم خمسون ليلة. وأيا كان فقد كانت محنة، وكانت شدة على النفس. إنها تجربة فريدة عاشها المجتمع المدني في معاملة العصاة بالاعتزال وهذا حرى بالمجتمعات المعاصرة أن تستفيد من هذا اللون العقابي الذى ينتج عنه مجتمعاً متميزاً خلقاً وديناً. إذ أن المذنب يعاقب دينياً ولو بعدم الكلام معه أو اجتنابه أو الإعراض عنه حتى يشعر بخطئه ويقلع عن جرمه.

لماذا تاب الله عليهم وقد تخلفوا عن الجهاد؟

يتوقف المسلم أمام باب الله المليء بالرحمة فيجده مفتوحاً في قوله تعالي: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً**﴾(٣).

قال البلنسي : فإن قيل : وكيف هذا، والجهاد من فروض الكفاية، وليس بفرض عين؟ فكيف عوقب هؤلاء؟ وكيف أنزل الله في المتخلفين، المعذرين ما أنزل في قوله: ﴿**سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ**﴾(٤).

الجواب : أن الأنصار خاصة، كان الجهاد عليهم مع رسول الله ﷺ فرض عين(٥).

١- تيسير العلي القدير لاختصار وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٣).
٢- الجواهر في تفسير القرآن (٥/ ١٧٠).
٣- سورة : الزمر آية (٥٣).
٤- سورة : التوبة آية (٩٥).
٥- انظر: الحاشية (٨) ص (٨).

حكم هذه الآية :

هل ما وقع على هؤلاء الثلاثة ينسحب وينطبق على المسلمين بعد ذلك؟ وهذا ما يريده المسلم أن يقرره ويستفيده من ناحية الجانب التطبيقي لهذه الآية قال الإيجي في الكشف والبيان "اختلفوا في حكم هذه الآية : فقال قتادة[١] : هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا فليس لأحد أن يتخلف عنه خلافة إذا لم يكن للمسلمين إليه ضرورة وحاجة" .

وقال الوليد بن مسلم[٢]: سمعت الأوزعي[٣]، وابن المبارك[٤]، والفزاري[٥]، والسبيعي[٦]، وابن جابر[٧]، وسعد بن عبد العزيز[٨]، في هذه

١– قتادة بن دعامة قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، يقال ولد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة، بإخراج له الجماعة، التقريب ص٤٥٣ رقم (٥٥١٨) .

٢– الوليد بن مسلم القرشمي مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية، من الطبقة الثامنة، مات آخر سنة أربعة أو أول خمس وتسعين. التقريب ص٥٨٤ رقم (٧٤٥٦) .

٣– عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، إمام أهل الشام – قال ابن عيينة : كان إمام أهل زمانه، وقال ابن سعد : كان ثقة، مأموناً، صدوقاً، فاضلاً، خيراً، كثير الحديث والعلم والفقه، ولد سنة ٨٨هـ، ومات فى سنة ١٥٧هـ. طبقات الحفاظ ص(٧٩) رقم (١٦٨)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٧٨) .

٤– عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولي بني حنظلة، ثقة، ثبت، فقيه، عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، من الطبقة الثامنة، مات سنة واحد وثمانين، وله ثلاث وستون سنة، أخرج له الجماعة، التقريب ص٣٢٠ رقم (٣٥٧٠) .

٥– إبراهيم بن محمد بن الحارس بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري الإمام، أبو إسحاق، ثقة، حافظ، له تصانيف، من الطبقة الثامنة، مات سنة خمس وثمانين، وقيل : بعدها أخرج له الجماعة، التقريب (ص٩٢) رقم (٢٣٠) .

٦ – عمرو بن عبد الله بن عبيد، ويقال : على، ويقال : ابن أبي شعيرة الهمراني، أبو إسحاق السبيعي – بفتح المهملة وكسر الموحدة – ثقة، مكثر عابد، فى الثالثة، اختلط بأخرة. مات سنة مائة وسبع وعشرين، وقيل قبل ذلك، أخرج له الجماعة، التقريب (ص٤٢٣) رقم (٥٠٦٥)، طبقات الحفاظ ص٤٣ رقم ٩٧ .

٧ – عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله الأنصاري، أبو عتيق المدني، ثقة، لم يصب ابن سعد فى تضعيفه من الطبقة الثالثة، وأخرج له الجماعة، التقريب (ص٣٣٧) رقم (٣٨٢٥) .

٨– سعيد بن عبد العزيز التنوخي، الدمشقي، ثقة إمام سواه أحمد بالأوزاعي، وقدمه أبو مسهر لكنه اختلط فى آخر أمره، من الطبقة السابعة، مات سنة ١٦٧هـ وقيل بعدها، وله بضع وسبعون، التقريب ص٢٣٨ رقم (٢٣٥٨)، طبقات الحفاظ ص٩٣ رقم (١٩٥) .

الآية أنها لأول هذه الأمة وآخرها[١].

سبحان الله:

لله في خلقه شئون، لهذا قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله : والله ما سفكوا دماً، ولا أكلوا حراماً، ولا أنكروا ﷺ بتبوك، فتابوا أحسن التوبة أو فزعوا أحسن الفزع.

وعن الحسن البصري أنه قال : يا سبحان الله : ما أكل هؤلاء الثلاثة مالاً حراماً، ولا سفكوا دما حراماً، ولا فسدوا في الأرض، ولا أصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن واقع الفواحش والكبائر[٢].

أما أحدهما: فأوثق نفسه إلى سارية. فقال: والله لا أطلقها حتى يطلقنى رسول الله ﷺ.

وأما الآخر : فعمد إلى حائط الذى تخلف عليه، وهو موضع فجعله صدقة.

وأما الثالث : فركب المفاوز، حتى لحق بنبي الله ﷺ ورجلاه تسيلان دماً"[٣].

إن هذه العقوبات اتخذوها اتخاذاً فردياً، وارتضوها لأنفسهم لأنهم شعروا بالتقصير، ومن هذا المنطلق لم ينكرها عليهم رسول الله ﷺ.

* * *

١ الكشف والبيان (٣/٢٦٣).

٢- عمدة القارئ (١٨/ ٥٥، ٥٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

٣- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٤ رقم ١٠٠٧٨ .

الفصل الخامس

أسباب تخلفهم عن رسول الله ﷺ

ثبت في صحيح البخاري[١]، ومسلم[٢]، وسنن أبي داود[٣] إقرار هؤلاء واعترافهم بتقصيرهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وانشغالهم بأموالهم وزروعهم، وللعلماء في قصتهم قولان :

القول الأول :

أنهم ذهبوا خلف الرسول ﷺ .

قال الحسن[٤] : كان لأحدهم أرض ثمنها ألف درهم، فقال يا أرضاه، ما خلفني عن رسول الله ﷺ إلا أمرك، أذهبي فأنت في سبيل الله، فلأكابدن المفاوز حتى أصل إلى النبي ﷺ وفعل.

وكان للثاني أهل " فقال : يا أهلاه ما خلفني عن رسول الله ﷺ إلا أمرك فلأكابدن المفاوز حتى أصل إلى رسول الله ﷺ فلحقوا بالرسول ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ ﴾[٥].

١– أخرجه البخاري (ص٧٩٨) ٦٤ – كتاب المغازي ٨١– باب : حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ (التوبة : ١١٨) رقم (٤٤١٨)، وأنظر الأرقام : (٢٧٥٧، ٢٩٤٧، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٣٠٨٨، ٣٥٥٦، ٣٨٨٩، ٣٩٥١، ٤٦٧٣، ٤٦٧٦، ٤٦٧٧، ٤٦٧٨، ٦٢٥٥، ٦٠٩٠، ٧٢٢٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢ / ٤٨٤). المزهر (٢ / ٣٢٠).

٢ – أخرجه مسلم (٤ / ٢١٢٠) ٤٩ – كتاب : التوبة ٩– باب : توبة كعب بن مالك وصحابيه ٥٣ (٢٧٦٩).

٣– أخرجه أبو دادود (٢ / ٦٥٢، ٦٥٣) ٧– كتاب : الطلاق ١١ – باب : فيما عنى به الطلاق بالنيات (٢٢٠٢).

٤– الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه : يسار بالتحتانية والمهملة – الأنصاري مولاهم، ثقة، فقيه مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، رأس الطبقة الثالثة، مات سنة ١١٠هـ، وقد قارب التسعين، أخرج له الجماعة، التقريب (ص١٦٠) رقم (١٢٢٧).

٥– سورة : التوبة، آية (١٠٦).

القول الثاني :

وهو قول الأكثرين أنهم ما ذهبوا خلف الرسول ﷺ فقال كعب : كان رسول الله ﷺ يحب حديثي، فلما أبطأت عنه في الخروج قال ﷺ : "ما الذى حبس كعباً؟" . فلما قدم المدينة اعتذر المنافقون فعذرهم، وأتيته وقلت : إن كراعي وزادي كان حاضراً، واحتبست بذنبي فاستغفر لي فأبي الرسول ذلك. ثم إنه عليه الصلاة والسلام نهي عن مجالسة هؤلاء الثلاثة، وأمر بمباينتهم حتى أمر بذلك نساءهم، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وجاءت امرأة هلال بن أمية، وقالت : يا رسول الله لقد بكى حتى خفت على بصره، حتى إذا مضى خمسون يوماً أنزل الله ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ** ﴾[1]، وأنزل قوله : ﴿ **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا** ﴾[2] فلما صلى الفجر ذكر ذلك لأصحابه، وبشرهم بأن الله تاب عليهم[3].

السبب الذى لأجله وصفوا بالمخلفين:

هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ **وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ** ﴾[4]، هذا الوصف كان لأجل هذا الموقف وليس لأنه صفة لازمة لهم وفيهم في كل المواقف والمعارك الحربية.

وقد اختلف العلماء في السبب الذي لأجله وصفوا بكونهم مخلفين، وهذه الأسباب هي :

أولاً : أنه ليس المراد أن هؤلاء أمروا بالتخلف، بل لعله نهاه، وإنما يريد أنه تخلف عنه.

١- سورة : التوبة، آية : (١١٧).

٢- سورة : التوبة : آية : (١١٨).

٣- مفاتيح الغيب (١٦ / ٢٢٣).

٤- سورة : التوبة، آية (١٠٦).

ثانياً : لا يمنع أن هؤلاء الثلاثة كانوا على عزيمة الذهاب إلى الغزو فأذن لهم الرسول ﷺ قدر ما يحصلوا الآلات والأدوات، فلما بقوا مدة ظهر التواني والكسل، فصح أن يقال خلفهم الرسول ﷺ .

ثالثاً : أنه حكى قصة أقوام، وهم المرادون بقوله : ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ﴾(١) فالمراد من كون هؤلاء مخلفين كونهم مؤخرين في قبول التوبة عن الطائفة الأولى .

قال كعب بن مالك، وهو أحد الثلاثة في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾(٢) ليس من تخلفنا، وإنما هو تأخير رسول الله ﷺ أمرنا ليشير(٣) إلى قوله : ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ﴾(٤).

* * *

الفصل السادس

حديث كعب بن مالك

قال ابن شهاب : فأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ أن عبد الله بن كعب كان قائد كعب، من بنيه، حين عمي، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط. إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنه. إنما خرج رسول الله

١– سورة : التوبة، آية (١٠٦).

٢– سورة : التوبة : آية : (١١٨).

٣– مفاتيح الغيب (١٦/ ٢٣٣).

٤– سورة : التوبة، آية (١٠٦).

ﷺ والمسلون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم، على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة[١]. حين تواثقنا على الإسلام[٢]، وما أحب لي بها من مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر[٣] في الناس منها، وكان من خبر يحكى (تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً[٤]، واستقبل عدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم[٥] ليتأهبوا أهبة غزوهم[٦]، فأخبرهم بوجههم[٧] الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمع كتاب حافظ (يريد ذلك الديوان)، قال كعب : رجل يريد أن يتغيب[٨]، يظن أن ذلك سيخفي له، ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصعر[٩]، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي، أنا قادر على ذلك، إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم

١- (ليلة العقبة) هي الليلة التى بايع فيها الأنصار رسول الله ﷺ على الإسلام، وأن يؤووه وينصروه، وهي العقبة التى فى طرف منى، التى يضاف إليها جمرة العقبة، وكانت بيعة العقبة مرتين، فى سنتين، فى السنة الأولى كانوا أثني عشر، وفى الثانية سبعين، كلهم من الأنصار رضي الله عنهم.

٢- (تواثقنا على الإسلام) أي تبايعنا عليه وتعاهدنا – النهاية (٥/ ١٥١) باب الواو مع الثاء.

٣- (وإن كانت بدر أذكر) أي أشهر عند الناس بالفضيلة.

٤- (ومفازا) أي برية طويلة قليلة الماء، يخاف فيها الهلاك. النهاية (٣/ ٤٧٨) باب : الفاء مع الواو.

٥- (فجلا للمسلمين أمرهم) أي كشفه وبينه وأوضحه وعرفهم ذلك على وجهه من غير تورية، يقال : جلوت التى كشفته.

٦- (ليتأهبوا أهبة غزوهم) أي ليستعدوا بما يحتاجون إليه فى سفرهم ذلك.

٧- (فأخبرهم بوجههم) أي بمقصدهم، القاموس المحيط (٤/ ٢٩٦، ٢٩٧) وجه.

٨- (فقلَّ رجل يريد أن يتغيب....الخ) قال القاضي : هكذا هو فى جميع نسخ مسلم، وصوابه : إلا يظن أن ذلك سيخفى له، بزيادة إلا، وكذا رواه البخاري.

٩- (فأنا إليها أصعر) أي أميل. النهاية (٣/ ٣١) باب الصاد مع العين.

غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو[١]، فهممت أن ارتحل فأدركهم، فياليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت، إذا خرجت في الناس، بعد خروج رسول الله ﷺ، يحزنني أني لا أري لي أسوة، إلا رجلا مغموصاً عليه في النفاق[٢]، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكا[٣]، فقال، وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب بن مالك؟" قال رجل من بني سلمة : يا رسول الله! حبسه برداه والنظر في عطفيه[٤]. فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله! يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك رأي رجلاً مبيضاً[٥] يزول به السراب[٦]، فقال رسول الله ﷺ "كن أبا خيثمه[٧]" فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون[٨].

فقال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا[٩] من تبوك، حضرني بثي[١٠]، فطفقت أتذكر الكذب وأقول : بم أخرج من سخطه

١– (وتفارط الغزو) أي تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا، النهاية (٣/ ٤٣٤) باب الفاء مع الراء.

٢– (مغموصا عليه فى النفاق) أي متهما به.

٣– (حتى بلغ تبوكا) هو فى أكثر النسخ، تبوكا، بالنصب، وكذا هو فى نسخ البخاري، وكأنه صرفها لإرادة الموقع، دون البقعة.

٤– (والنظر فى عطفيه) أي جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه، النهاية (٣/ ٢٥٧) باب العين مع الطاء.

٥– (مبيضا) هو لابس البياض، ويقال : هم للبيضة والمسودة، أي لابسو البياض والسواد.

٦– (يزول به السراب) أي يتحرك وينهض، والسراب هو ما يظهر للإنسان فى الهواجر، فى البراري كأنه ماء، النهاية (٢/ ٣١٩) باب الزاي مع الواو.

٧– (كن أبا خيثمه) قيل : معناه أنت أبو خيثمه، قال ثعلب : العرب تقول: كن زيدا، أي أنت زيد، قال القاضى عياض، والأشبه عندى أن كن هنا للتحقق والوجود، أي لتوجد يا هذا الشخص، أبا خيثمه حقيقة، وهذا الذى قاله القاضى هو الصواب، وهو معنى صاحب التحرير : تقديره اللهم أجعله أبا خيثمه.

٨– (لمزه المنافقون) أي عابوه واحتقروه، النهاية (٣/ ٤٦٩) باب : اللام مع الميم.

٩– (توجه قافلا) أي راجعا، النهاية (٥/ ٩٢) باب : القاف مع الفاء.

١٠– (حضرني بثي) هو أشد الحزن ، النهاية (١/ ٩٥) باب الباء مع الثاء.

غدا؟ واستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي : إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً[١]، زاح[٢] عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه[٣]، وصبح رسول الله ﷺ قادما، وكان، إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب ثم قال : "تعال" فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي : "ما خلفك؟" ألم تكن قد ابتعدت ظهرك" قال قلت : يا رسول الله إني، والله! لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا[٤]، ولكني، والله لقد علمت، لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن[٥] الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه[٦]، إني لأرجو فيه عقبى الله[٧]، والله! ما كان لي عذر، والله! ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله ﷺ : "أمَّا هذا، فقد صدق، فقم حتى يقضى الله فيك" فقمت، وثار رجال من بني سلمه فاتبعوني، فقالوا لي : والله! ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ، بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله ﷺ لك.

١- (أظل قادماً) أي أقبل ودنا قدومه كانه ألقى على ظله.

٢- (زاح) أي زال، النهاية (٢ / ٣٢٤) باب الزاي مع الباء.

٣- (فاجمعت صدقة) أي عزمت عليه، يقال : اجمع أمره وعلى أمره، وعزم عليه، بمعنى.

٤- (أعطيت جدلاً) أي فصاحة وقوة فى الكلام وبراعة، بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إلى، إذا أردت.

٥- (ليوشكن) أي ليسرعن، النهاية (٥ / ١٨٩) باب الواو مع الشين.

٦- (تجد على فيه) أي تغضب.

٧- (أني لأرجو فيه عقبى الله) أي أن يعقبني خيرا، وأن يثيبني عليه، النهاية (٣ / ٢٦٨) باب العين مع القاف.

قال : فو الله مازالوا يؤنبوني[١] حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ، فأكذب نفسي، قال ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان، قالا : مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، قال قلت : من هما؟ قالوا : مرارة بن ربيعة العامري[٢]، وهلال بن أمية الواقفي، قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة، قال فمضيت حين ذكروهما لي.

قال ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، أيها الثلاثة[٣]، من بين من تخلف عنهم.

قال، فاجتنبنا الناس، وقال تغيروا لنا حتى تنكرت لى في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التى أعرف[٤]، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا[٥] وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم[٦]، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام، أم لا؟ ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلى، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت[٧]، جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي،

١– (يؤنبونني) أي يلومونني أشد اللوم.

٢– (العامري) هكذا هو فى جميع نسخ مسلم، العامري، وانكره العلماء وقالوا : هو غلط إنما صوابه العمري، من بنى عمرو بن عوف، وكذا ذكره البخاري، وكذا نسبه محمد بن إسحق وابن عبد البر، وغيرهما من الائمة، قال القاضى : هو الصواب.

٣– (أيها الثلاثة) قال القاضى : هو بالرفع، وموضعه نصب على الاختصاص، قال سيبويه، نقلا عن العرب : اللهم اغفر لنا، أيتها العصابة، (الكتاب ٣ / ١٧٠) وهذا مثله.

٤– (فما هي بالأرض التى أعرف) معناه : تغير على كل شيء، حتى الأرض، فإنها توحشت على وصارت كأنها أرض لم أعرفها، بتوحشها علي.

٥– (فاستكانا) أي خضعا، النهاية (٢/ ٣٨٦) باب السين مع الكاف.

٦– (أشب القوم وأجلدهم) أي أصغرهم سنا وأقواهم.

٧– (حتى تسورت) معنى تسورته علوته وصعدت سوره، وهو أعلاه، النهاية(٢ / ٤٢٠) باب السين مع الراء.

وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك بالله[1]! هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ قال فسكت، فعدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال : الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار.

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام[2]، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول : من يدل على كعب بن مالك، قال فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان، وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه : أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة[3]، فالحق بنا نواسك[4]، قال فقلت، حين قرأتها : وهذه أيضا من البلاء، فتيامت[5] بها التنور فسجرتها[6]، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي[7]، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال : لا بل أعتزلها، فلا تقربنها، قال فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، قال فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خدم،

١- (أنشدك بالله) أي أسألك بالله، وأصله من النشيد، وهو الصوت، النهاية (٥ / ٥٤) باب النون مع الشين.

٢- (نبطي من نبط أهل الشام) يقال : النبط والأنباط والنبيط، وهم فلاحو العجم، النهاية (٥ / ٩) باب النون مع الباء.

٣- (مضيعة) فيها لغتان، إحداهما مضيعة والثانية : مضيعة أي موضع، وحال يضيع فيه حقك، النهاية (٣ / ١٠٨) باب الضاد مع العين.

٤- (نواسك) وفي بعض النسخ، نواسيك، بزيادة ياء، وهو صحيح أي ونحن نواسيك، وقطعه عن جواب الأمر ومعناه نشاركك فيما عندنا.

٥- (فتيامت) هكذا في جميع النسخ ببلادنا، وهي لغة في تيممت، ومعناها قصدت، النهاية (٥ / ٣٠٠) باب الياء مع الميم.

٦- (فسجرتها) أي أحرقتها، وأنث الضمير لأنه أراد معني الكتاب، وهو الصحيفة.

٧- (واستلبث الوحي) أي أبطأ، النهاية (٤ / ٢٢٤) باب اللام مع الباء.

فهل تكره أن أخدمه؟ قال "لا، ولكن لا يقربنك" فقالت: إنه، والله ما به حركة إلى شيء، والله! ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ، إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟ قال فلبثت بذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا، قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت على نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت[١]، سمعت صوتاً صارخاً أوفي على سلع[٢] يقول، بأعلى صوته، يا كعب بن مالك أبشر، قال فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج.

قال فآذن رسول الله ﷺ الناس[٣] بتوبة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إليَّ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم قبلي، وأوفي الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذى سمعت صوته يبشرني، فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله! ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت اتأم[٤] رسول الله ﷺ يتلقاني فوجا فوجا[٥]، يهنئوني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد، وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من

١– (وضاقت علي الأرض بما رحبت) أي بما اتسعت، ومعناه: ضاقت على الأرض مع انها متسعة والرحب السعة، النهاية (٢ / ٢٠٧) باب الراء مع الحاء.

٢– (أوفى على سلع) أي صعده وارتفع عليه، النهاية (٥ / ٢١١) باب الواو مع الفاء، وسلع جبل بالمدينة معروف.

٣– (فآذن .. الناس) أي أعلمهم، النهاية (١ / ٣٤) باب باب الهمزة مع الذال.

٤– (أتأم) أي أقصد، النهاية (١ / ٦٩) باب الهمزة مع الميم.

٥– (فوجا فوجا) الفوج الجماعة، النهاية (٣ / ٤٧٧) باب الفاء مع الواو.

المهاجرين غيره.

قال فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك" قال فقلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ فقال "لا، بل من عند الله" وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه، كأن وجهه قطعة قمر، قال وكنا نعرف ذلك.

قال فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أتخلع من مالي(١) صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ، قال الرسول ﷺ: "أمسك بعض مالك، فهو خير لك" قال فقلت فإني أمسك سهمي الذى بخيبر، قال وقلت: يا رسول الله! إن الله أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت، قال فوالله! ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله(٢) في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ، إلى يومي هذا، وأني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)**﴾ (التوبة، ١١٧-١١٩).

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط، بعد إذ هداني الله للإسلام،

١- (أن اتخلع من مالي) أي أخرج منه وأتصدق به، النهاية (١ / ٦٥) باب الخاء مع اللام.

٢- (أبلاه الله) أي أنعم عليه، والبلاء والإبلاء يكون في الخير والشر، لكن إذا أطلق، كان الشر غالبا، فإذا أريد الخير، قيد هنا، فقال أحسن مما أبتلى، النهاية (١ / ١٥٥) باب الباء مع اللام.

أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبته[١]، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا، حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، وقال الله: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦) ﴾ (التوبة، ٩٥-٩٦).

قال كعب: كنا خلفنا، أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ، حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ (التوبة – ١١٨)، وليس الذى ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليف إيانا، وإرجاؤه أمرنا[٢]، عمن خلف له واعتذر إليه فقبل منه.

ما يستنبط من الحديث:

استنبط العيني[٣]، وغيره من العلماء من هذا الحديث فوائد جمة، بلغت خمسين فائدة نذكرها فيما يلي:

١- فيه جواز طلب أموال الكفار دون الحرب[٤].

٢- وفيه جواز الغزو في شهر الحرام.

٣- والتصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره.

٤- وأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً ألزمهم النفير.

١- (أن لا أكون كذبته) هكذا هو فى جميع نسخ مسلم، وكثير من روايات البخاري، قال العلماء، لفظة لا في قوله، أن لا أكون زائدة، ومعناه: أن أكون كذبته، كقوله تعالي: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ (الأعراف، ١٢).

٢- (وإرجاؤه أمرنا) أي تأخيره.

٣- عمدة القارئ (١٨ / ٥٥، ٥٦) ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤ – لا سيما الذين بدت منهم البغضاء، وظهر منهم العداء، والرغبة في محاربة المسلمين.

٥- وفيه إباحة الغنيمة لهذه الأمة إذ قال: (يريدون عير قريش).

٦- وفيه : فضيلة أهل بدر، والعقبة، والمتابعة مع الإمام.

٧- وجواز الحلف من غير استحلاف.

٨- والتأسف على ما فاته من الخير.

٩- وهجران أهل البدعة.

١٠- وأن للإمام أن يؤدب أصحابه بإمساك الكلام عنهم.

١١- وترك قربان الزوجة.

١٢- واستحباب صلاة القادم.

١٣- وعلى القادم دخول المسجد أولاً.

١٤- وتوجه الناس إليه عند قدومه.

١٥- والحكم بالظاهر.

١٦- وقبول المعاذير.

١٧- واستحباب البكاء على نفسه.

١٨- ومسارقة النظر في الصلاة لا تبطلها.

١٩- وفضيلة الصدقة.

٢٠- وأن السلام رده كلام.

٢١- وجواز دخوله في بستان صديقه بلا إذنه.

٢٢- وأن الكناية لا يقع بها الطلاق ما لم ينوه.

٢٣ - وإيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب.

٢٤- وخدمة المرأة لزوجها.

٢٥- والاحتياط بمجانبته ما يخاف الوقوع في منهي عنه إذا لم يستأذن في خدمة امرأته لذلك.

٢٦- وجواز إحراق ورقة فيها ذكر الله إذا كان لمصلحة.

٢٧- واستحباب التبشير عند تعدد النعمة واندفاع الكربة.

٢٨- واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة.

٢٩- وسروره بما يسر أصحابه.

٣٠- والتصدق بشيء عند انكشاف الهم والحزن.

٣١- والنهي عن التصدق بكل ماله.

٣٢- وإجازة التبشير بخلعه[١].

٣٣- وتخصيص اليمين بالنية.

٣٤- وجواز العارية.

٣٥- مصافحة القادم والقيام له.

٣٦- التزام مداومة الخير الذى ينتفع به.

٣٧- استحباب سجدة الشكر.

٣٨- وفيه : عظم أمر المعصية.

٣٩- وفيه أن القوي يؤاخذ أشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين.

٤٠- وفيه جواز إخبار المرء عن تقصيره وتفريطه.

٤١- وفيه جواز مدح الرجل بما فيه من الخير إذا أمن من الفتنة.

٤٢- وتسلية نفسه عما لم يحصل له بما وقع لنظيره.

٤٣- وفيه جواز ترك السلام على من أذنب.

٤٤- وجواز هجره ثلاثة أيام.

٤٥- وفيه تبرير حر المعصية بالتأسي بالنظير.

٤٦- وفيه : جواز ترك رد السلام على المهجور عمن ساء عليه إذ لو كان واجباً لم يقل كعب هل حرك شفتيه برد السلام.

٤٧- وفيه أن قول المرء (الله ورسوله أعلم) ليس بخطاب والله أعلم.

١ - أي حمل البشرى بالخير والثواب الجميل بإهداء المبشر ثوباً جديداً أو ملابساً.

٤٨- فلا يحنث بهذا الكلام من حلف أن يكلم فلاناً إذا لم يثبت مكالمته.

٤٩- وفيه : مشروعية العارية.

هذه الاستنباطات الفقهية تبين: القدرة الذكية على فهم النصوص، واستخلاص الأحكام الفقهية التي تعين المسلم على تدبر الأحاديث ومعرفة ما يفيده منها في حياته اليومية، مهما بعدت الأزمان بينه وبين الذين دارت حولهم هذه الأحاديث. إذ لا شك في أن فيها ما يعين المسلم على معرفة الدين وأحكامه فيعمل على ما فيه صلاح حياته. والله المستعان.

* * *

نتائج الدراسة

تؤكد هذه الدراسة على الحقائق الآتية:

١- رحمة الله وسعت كل شيء من عالم الإنس وعالم الجن وعالم الحيوان، وعالم النبات. .إلخ.

٢- باب التوبة إلى الله عز وجل مفتوح أمام العبد بالرجوع إليه عز وجل والاستغفار والإنابة.

٣- الحيل التي يتخذها المؤمن لعقاب نفسه تكون بالتأنيب، والتوبيخ للنفس، أو الهُيام والجوع، أو التهذيب والإصلاح لها. . .إلخ.

٤- الحيل التي اتخذها هؤلاء الثلاثة في عقاب أنفسهم على تقصيرهم في حق الله عز وجل وفي حق رسول الله ﷺ لم ينكرها عليهم رسول الله ﷺ.

٥- كانت المقاطعة للثلاثة وسيلة تربوية عقابية ذات جدوى يمكن تطبيقها في كل زمان ومكان لا سيما للمذنبين، والمجاوزين حدود الله عز وجل.

٦- حملت الآية من ذكر الأسماء تلميحا لا تصريحاً، والإحساس من ضيق الأنفس، وتوبتهم إلى الله، ثم قبول هذه التوبة، وكلها تعاليم مفيدة للحياة.

٧- حفلت كتب الحديث النبوي، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي بهذه القصة للعظة والاعتبار، والدراسة، والتمحيص، واسترجاع الماضي المفيد للحاضر.

* * *

مراجع الدراسة

القرآن الكريم

١- **ابن الأثير**: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ٥٤٤-٦٠٦هـ النهاية في غريب الحديث. تحقيق طاهر أحمد الراوي، أ.د/ محمد محمود الطناحي. طبعة: عيسى البابي الحلبي، وأسد الغابة، طبعة دار الشعب، القاهرة.

٢- **الأصفهاني**: الراغب أبي القاسم الحسين بن محمد ت ٥٠٢هـ. المفردات. طبعة دار الخلود للتراث.

٣- **الأندلسي**: شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش العلامة أبو الثناء البغدادي الشافعي ت ١٢٧هـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. مكتبة عيسى البابي الحلبي.

٤- **الأندلسي**: أيسر الدين أبي حيان محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ. البحر المحيط في التفسير. طبع بولاق مصر.

٥- **البخاري**: الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن

المغيرة ت ٢٥٦هـ صحيح البخاري. ضبط النص محمود محمد محمود حسن نصار. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، والتاريخ الكبير طبعة الهند.

٦- **البروسوي**: الشيخ إسماعيل حقي. تنوير الأذهان من تفسير روح المعاني. تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني. طبعة أولى سنة ١٩٨٨م/١٤٠٥هـ.

٧- **البغوي**: محي السنة أبي محمد حسين بن مسعود الفراء الشافعي ت ٥١٦هـ معالم التنزيل. طبعة مصطفي البابي الحلبي.

٨- **البغدادي**: إسماعيل باشا. هدية العارفين اسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون. طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٩- **البقاعي**: الإمام برهان الدين بن إبراهيم بن عمر ت ٨٨٥هـ. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. طبع: حيدر أباد الدكن الهند.

١٠- **البلنسي**: أبى عبد الله محمد بن علي ٧١٤-٧٨٢هـ. تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل. دراسة وتحقيق دكتور/ حنيف بن حسن القاسمي. طبعة دار الغرب الإسلامي طبعة أولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١١- **البيهقي**: الإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ. السنن الكبرى طبع حيدر أباد الدكن. شعب الإيمان. تحقيق / محمد السعيد زغلول بسيوني. طبعة أولى سنة ١٤١٠ هـ طبعة دار الكتب العلمية. بيروت. دلائل النبوة. تحقيق د/ عبد المعطي أمين قلعجي. دار الكتب. العلمية بيروت.

١٢- **الترمذي**: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٠٩-٢٧٩هـ. سنن الترمذي الجامع "لصحيح" شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر طبعة دار الحديث القاهرة.

١٣- **الثعالبي**: العالم العلامة أبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٤٢٧هـ الكشف والبيان في تفسير القرآن. تحقيق سيد كسروي حسن. طبعة دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٤- **جرجي زيدان** : تاريخ آداب اللغة العربية تعليق د/ شوقي ضيف طبعة دار الهلال القاهرة،

١٥- **ابن جني** : المحتسب في شواذ القراءات، طبعة المجلس الأعلى للشيءون الإسلامية.

١٦- **ابن الجوزي**: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفي عبد القادر عطا طبعة دار الكتب. العلمية بيروت لبنان. طبعة أولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. الموضوعات. طبع مطبعة المدني، زاد المسير في التفسير، نشر المكتب الإسلامي، سورية.

١٧- **ابن أبى حاتم**: محمد بن إدريس. تفسير القرآن العظيم. المملكة العربية السعودية، طبعة دار ابن حزم. الجرح والتعديل طبعة حيدر أباد الدكن الهند، والثقات، طبعة حيدر آباد الدكن، الهند.

١٨- **الحنبلي**: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد شذرات الذهب طبعة دار الفكر بيروت.

١٩- **ابن خالويه**: مختصر شواذ القراءات. مكتبة المتنبي القاهرة .

٢٠- **عبد الكريم الخطيب**: التفسير القرآني للقرآن. طبع دار الفكر العربي مطبعة السنة المحمدية.

٢١- **الدار قطني**: أبو الحسن علي بن عمر ت ٣٨٥هـ سنن الدار قطني تصحيح عبد الله هاشم يماني، طبعة المدني. ودار المحاسن ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

٢٢- **الدارمي**: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ت ٢٥٥هـ سنن الدارمي. تحقيق : فوزي أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي طبعة أولى ١٤٠٧هـ .دار الريان القاهرة.

٢٣- **الذهبي** : شمس الدين، تجريد أسماء الصحابة.

٢٤- **الرازي**: الإمام الكبير فخر الدين محمد بن عمر ت ٦٠٦هـ التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب طبعة دار الفكر بيروت.

٢٥- **الرفاعي**: محمد نسيب. تيسير العلى القدير لاختصار تفسير ابن كثير. مكتبة المعارف بالرباط طبعة ١٤١٠هـ/١٩٨٨م.

٢٦- **الزحيلي**: أ.د/ وهبة الزحيلي. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. طبعة دار الفكر المعاصر بيروت طبعة أولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٢٧- **الزمخشري**: للعلامة أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الخوازمي ت ٥٣٨هـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. طبعة مصطفي البابي الحلبي.

٢٨- **السجستاني**: أبى داود سليمان بن الأشعث ٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ سنن أبى داود تحقيق عزت عبيد دعاس طبعة اقيلول ـ حمص سوريا.

٢٩- **السمرقندي**: الشيخ الفاضل السيد علاء الدين البخاري علي القراماني أبو الليث ت ٨٦٠هـ بحر العلوم (تفسير السمر قندي) طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٣٠- **سيبويه**: أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٨هـ الكتاب تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م/ الطبعة الثانية.

٣١– **سيد قطب**: في ظلال القرآن. طبعة دار الشروق القاهرة .الطبعة الرابعة عشرة.

٣٢– **السيوطي**: أبى عبد الرحمن جلال الدين ت ٩١١هـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور طبعة دار المعرفة بيروت.

٣٣– **ابن أبي شيبة**: الإمام عبد الله بن محمد ت ٢٣٥هـ مصنف ابن أبي شيبة الدار السلفية الهند. الطبعة لأولى ١٤٠٩هـ.

٣٤– **الصاحب ابن عباد**: إسماعيل بن عباد ٣٢٦–٣٨٥هـ المحيط في اللغة. تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين، طبعة عالم الكتب. طبعة أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣٥– **محمود صافي**: الجدول في إعراب القرآن وصرفه مراجعة دكتوره/ لينة الحمصي طبعة دار الرشيد بيروت طبعة أولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣٦– **الصنعاني**: أبى بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١٦هـ. مصنف عبد الرزاق. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ المجلس الأعلى حيدر آباد الدكن الهند.

٣٧– **الطبراني**: أبى القاسم سليمان بن أحمد ٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ. المعجم الكبير، والمعجم الصغير. الأول تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، والثاني تحقيق د/ محمود طحان دهوك. العراق.

٣٨– **الطبري**: جامع البيان في تأويل أي القرآن. طبعة مطبعة بولاق.

٣٩– **طنطاوي**: الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري. الجواهر في تفسير القرآن الكريم. طبعة ثانية، مصطفي البابي الحلبي ١٣٥٠هـ.

٤٠– **ابن عادل**: سراج الدين ابن عادل أبى حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي اللباب في علوم الكتاب. تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي

معوض. طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٤١- **ابن عاشور**: محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. الدار التونسية للتأليف والطباعة والنشر.

٤٢- **عبد الله بن وهب**: الواضح في تفسير القرآن. تحقيق أحمد فريد. منشورات دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ.

٤٣- **ابن عجيبة**: الإمام العلامة أبى العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ت ١٢٢٤هـ. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: عمر أحمد الراوي طبعة ثانية ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ. طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٤٤- **العسقلاني**: الإمام أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ١٥٢هـ . تقريب التهذيب تحقيق محمد عوامة. طبعة دار الرشد . سوريا.

٤٥- **ابن عطية**: أبى محمد عبد الحق بن أبى بكر بن غالب بن عطية الغرناطي ت ٥٤٩هـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. طبعة دار الكتب العلمية، والطبعة الأولى: بالمملكة المغربية.

٤٦- **العقيلي**: أبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد الملكي ت ٣٢٢هـ. الضعفاء الكبير. تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. دار الكتب العلمية بيروت . طبعة الأولى ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.

٤٧- **العكبري**: أبى البقاء عبد الله بن الحسين ت ٦١٦هـ-١٢١٩م . البيان في إعراب القرآن. تحقيق علي محمد البجاوي. طبعة عيسى البابي الحلبي. إعراب القراءات الشواذ. دراسة وتحقيق/ محمد السيد أحمد عزوز. طبعة أولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ط عالم الكتب. بيروت.

٤٨- **ابن العمراني**: محمد بن علي بن محمد ت ٥٨٠هـ. الإنباء في تاريخ

الخلفاء. تحقيق: قاسم السامرائي طبعة أولى/ دار الآفاق العربية القاهرة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٤٩– **الشيباني**: أبى إسحاق بن إبراهيم ت ٣٥٠هـ. ديوان الأدب. تحقيق د/ أحمد مختار عمر. الهيئة المصرية العامة للمطابع الأميرية ١٣٩٤-١٩٧٤م.

٥٠– **ابن فارس**: أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ. مجمل اللغة. دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن. طبعة مؤسسة الرسالة. طبعة أولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٢م. معجم مقاييس اللغة. الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٩م. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. طبعة مصطفي البابي الحلبي.

٥١– **الفارسي**: علاء الدين علي بن بلبان ت ٧٣٩هـ. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. تحقيق شعيب الأرنؤوط. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. مؤسسة الرسالة بيروت.

٥٢– **الفراء**: أبى زكريا يحي بن زياد ت ٢٠٧هـ. معاني القرآن. تحقيق أحمد يوسف نجاتي - محمد على النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م. الطبعة الثانية.

٥٣– **الفيروز آبادي**: مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق: محمد على النجار. المجلس الأعلى للشيءون الإسلامية. طبعة ثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. القاموس المحيط. طبعة مصطفي البابي الحلبي طبعة ثانية.

٥٤– **القاسمي**: محاسن التأويل تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة عيسى البابي الحلبي، وطبعة إحياء التراث العربي بيروت طبعة أولى ١٤١٥هـ.

٥٥– **القرطبي**: الجامع لأحكام القرآن. طبعة الهيئة المصري العامة للكتاب.

٥٦– **القزويني**: الإمام المحدث أبى عبد الله محمد بن يزيد ت ٢٧٥هـ. سنن

ابن ماجة. تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار. دار اكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٥٧- **القشيري**: عبد الكريم بن هوازن ٩٨٦م / ٣٧٦هـ-١٠٧٣م/ ٤٦٥هـ.الرسالة القشيرية. تحقيق محمود نصار الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ٢٠٠٢م. دار الغد. القاهرة.

٥٨- **القشيري**: أبي الحسين مسلم بن الحجاج ت ٢١٩هـ. صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة عيسى البابي الحلبي.

٥٩- **القنوجي**: فتح البيان في مقاصد القرآن. طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٦٠- **ابن قيم الجوزية**: الفوائد. تحقيق سليم بن عيد الهلالي. مكتبة الرشد. الرياض. طبعة أولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م.

٦١- **ابن كثير**: تفسير القرآن العظيم. طبعة عيسى البابي الحلبي.

٦٢- **الكرماني**: حمزة بن محمود بن حمزة بن نصر ت ٥٠٠هـ. غرائب التفسير وعجائب التأويل. طبعة دار الفكر بيروت.

٦٣- **الكفوي**: أيوب بن موسى الحسيني ت ١٠٩٠هـ١٦٨٣م. الكليات. طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

٦٤- **الماتريدي**: الإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود ت ٣٢٣هـ. تأويلات أهل السنة "تفسير الماتريدي". تحقيق مجدي باسلوم. طبع دار الكتب العلمية بيروت.

٦٥- **الماوردي**: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت ٤٥٠هـ. النكت والعيون (تفسير الماوردي). تحقيق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم. دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

٦٦– **الإمام مالك بن أنس**: الموطأ. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة مكتب عيسى البابي الحلبي.

٦٧– **المزي**: جمال الين أبى الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن يوسف ت ٧١٢هـ. تحفة الأشراف بمعرفة. الأطراف. مراجعة: محمد عبد الصمد شرف الدين. الدار القيمة بومباي الهند.

٦٨– **المعجم الكبير** : جمهورية مصر العربية مجمع اللغة العربية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

٦٩– **النسائي**: أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب. وشرحه للسيوطي ت ٩١١هـ المجتبي. تحقيق عبد الفتاح أبوغدة. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ دار البشائر الإسلامية بيروت.

٧٠– **النيسابوري**: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدوية ولد سنة ٣٢١هـ توفي سنة٤٠٣هـ. المستدرك على الصحيحين. طبع دار الكتب العلمية بيروت.

٧١– **الهمذاني**: حسين بن أبي العز ت ٦٤٣هـ. الفريد في إعراب القرآن المجيد. تحقيق د/ فهمي حسن النمر، ود/ فؤاد علي مخيمر. طبعة: دار الثقافة. الطبعة الأولى ١٩٩١م / ١٤١١هـ.

٧٢– **الهيثمي**: نور الدين علي بن أبي بكر المتوفي سنة ٨٠٧هـ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. طبع دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

* * *